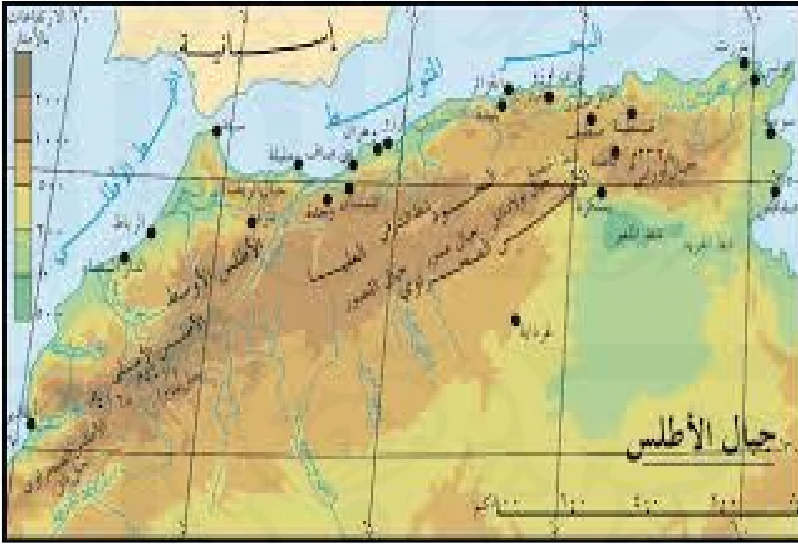


زربية جبل عمور بمنطقة الأطلس الصحراوي الجزائري

د. عائشة حنفي*

يعكس الفن عند الشعوب نمط حياتهم، و تعطينا منسوجات جبل عمور من خلال بساطتها وخشونة خطوط زخرفتها، البعيدة عن كل خيال صورة حقيقية عن حياة سكان عمور الجبلية.

تنتشر زربية جبل عمور في الجنوب الوهراني غرب الجزائر إلى غاية منطقة الجلفة شرق الجزائر، لذا فهي تشمل جبال القصور لتنتهي في جبال أولاد نايل، أي منطقة سهبية ملائمة لتربية المواشي. هي أيضا مركز لصناعة الزربية ذات العقدة.



خريطة تمثل موقع جبل عمور

وقد ساعد البرد القارص الذي تمتاز به هذه المنطقة في فصل الشتاء في أن يكسو خروفيها صوفا جيدا وكثيفا، كما أن مرتفعاتها ساعدت كثيرا في إنتاج صوف ذو جودة عالية، منه الرقيق والطويل.

استغل سكان عمور هذه الثروة لراحتهم الخاصة وهذا بتحويل هذه الصوف إلى زرابي متينة ولينة، فقد اخترع سكان عمور أحد أجمل وأروع النماذج التي يزخر بها تراثنا الشعبي، وقد سكن المنطقة قبائل زناتة التي يمتد نفوذها من منطقة الأوراس إلى غاية المغرب الأقصى. وهم من الرحل الذين يعيشون في الخيام،

وتتكون من عدة قبائل معظمها سكنت منطقة جبل عمور، وتعتبر قبيلة بني راشد هي أول قبيلة سكنت المنطقة ثم انتقلت فيما بعد نحو الشمال.^(١)

كان سكانها أمازيغ كما تدل عليه بعض أسماء المناطق، إضافة إلى اللهجة الأمازيغية المتداولة بين السكان، كما أن الصوف الذي كانت تستعمله المرأة في نسجها يعرف بصوف زناته.^(٢) والملاحظ أن المصطلحات الخاصة بالنسج التي عرفت في معظم المناطق الأخرى بقيت كما هي في منطقة عمور.

وهذا ما يجعلنا نقول أنه كانت هناك تقنية تسدية تسبق دخول بنو هلال المنطقة، إلا أنه مع قدوم العرب إلى المنطقة، تغيرت أشياء كثيرة باندماج العرب بالبربر في جبل عمور.

كما أن معظم السكان أيضا من الرحل أو بالأحرى من المنتجة، لأن تنقلاتهم كانت قصيرة المدى، وتشهد بعض النشاطات المتبقية والغير البارزة على نمط حياة السكان سابقا.

لقد كان سكان المنطقة يعيشون في قرى محصنة جاثمة على دعائم في شكل عش الصقر والتي تعرف بالقصور، بالإضافة إلى ذلك استعملوا الخيمة كمسكن لهم خاصة عند تنقلاتهم بحثا عن الكلأ. وقد عرفت هذه المنطقة بزرايتها الكبيرة والجميلة والتي كانت تنتج من طرف نساء المنطقة وتزخر من طرف رقاميها.

رقامو جبل عمور

إذ كانت النساء حاليا في منطقة جبل عمور تنسج الزرابي، كما أنها من الممكن أن تكون على رأس مجموعة من الناسجات، فإنه في السابق كان النسج من اختصاص الرجال فقط، وكلمة رقام مأخوذة من أصل كلمة رقم أي الإنسان الذي يقوم برسم الأشكال وليس هو النساج، ولكننا نلاحظ أن الرقام يخترع الأشكال والرسومات، ويشارك في نفس الوقت في عملية النسج.

وما نلاحظ حاليا هو تزايد عدد الرقامات أو الناسجات المركبات على حساب الرقامين الرجال، بحيث اكتسبت هاته النساء الخبرة اللازمة لطول عملهن كمساعدات الرقامين، ويعود تعدد الرقامات إلى تفضيل عمل النسوة فيما بينهن هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المرأة التي تعمل في مكان الرجال لا تكون متطلباتها كبيرة.

أما فيما يخص الزربية التي هي محور موضوعنا وبالتحديد الزربية ذات العقدة، فإنه من الملاحظ أنها استطاعت أن تقاوم المزج الثقافي، كما استطاع سكان عمور أن يستوعبوا جيدا وأن يجنسوا بعض البصمات الطفيفة التي تظهر في بعض الأحيان في مصطلحات النساجين.

إن التشابه الذي يمكن كشفه بين الزربية العمورية والقوقازية أو الأناضولية يكمن بوجه عام الاحتمال في التقارب الموجود في الإلهام والتقنية أكثر ما هو تشابه عرقي

(١) Golvin, L. Les arts populaires en Algérie, T II, Alger 1953, P 88.

(٢) Giacobelletti.R.P. Les Tapis et Tissages du djebel Amour, Paris, 1962, P 4.

والسؤال الذي يمكن أن نطرحه في هذه النقطة هو هل هذا التقارب يستطيع أن ينشأ من توافق قاعدي الذي يربط القبائل الرحالة بالأفق الواسع كالسهول والصحاري حيث تعيش؟ أم ناتجة لأمر إلزامي في التقنية سواء فيما يخص المواد الأولية أو الأدوات المبدئية المتشابهة في معظم المناطق؟

وما يمكننا قوله هو أن زربية جبل عمور تعكس طبيعة المنطقة، بحيث تعتبر الأكثر تمثيلاً إذا ما قرنت بكل الزرابي الجزائرية للفن الأمازيغي الخالي من كل التأثيرات الجانبية. إن زربية جبل عمور كغيرها من الزرابي الأخرى تتطلب تحضيراً لذا فقد كانت المرأة قبل أن تبدأ في نسج زربيتها، تقوم بتحضير الصوف اللازمة لهذا النسج، وقد تعرف هذه الصوف مختلف التحضيرات حتى تصبح جاهزة لأن تكون لائقة لتستعملها لنسج الزربية العمورية.

تبدأ المرأة بجز الصوف ويكون هذا في شهر مارس في منطقة الجنوب العموري، بينما تتم في شهر أبريل في المرتفعات وتكون العملية بنفس الطريقة التي ذكرناها آنفاً في الجزء الأول.

يتنوع صوف جبل عمور باختلاف مصادره، ويعتبر صوف الطرفين الصوف الأكثر شهرة بالنسبة لمنطقة جبل عمور، بينما صوف المناطق الصحراوية فتكون معبأ بالرمال وذو مردود سيء^(٣).

أما فيما يخص عملية الغسل فكانت لا تختلف كثيراً عن المناطق الأخرى، تبدأ المرأة في بادئ الأمر بغطس الصوف الأكثر اتساخاً والأقل أهمية، ثم تضع فوقه حجرة كبيرة وتبقى داخل الماء طول مدة الغسل حتى يتخلص من كل الأوساخ. تغطس المرأة بعد هذا بقية الصوف داخل الماء وتتركه يتبلل لفترة ثم تنزود بعضاً تعرف بالخباط وتدخل بدورها داخل النهر وتبدأ بضرب الصوف مع تقليبه في كل مرة هذا فيما يخص النهر أما إذا تمت العملية في البيت فتغسل بالماء الساخن في أحواض كبيرة وتعرف هذه العملية بالترشيشيم^(٤).

تقوم الناسجة بعد هذا بتحليج الصوف ومشطه وغزله ولا نطيل هنا، لأن كل هذه العمليات لا تختلف في جبل عمور عن غيرها من المناطق، غير أن هذه المنطقة تميزت بمغازلها التي تعلو ريش النعام والتي تعطيها مظهر منفضة ريش وتعرف بفيلش ويعيدها قولفين إلى الكلمة اللاتينية Filage^(٥)، ونعتقد أن رأي قولفين هو الأقرب إلى الصواب وهذا بعد قيامنا بالبحث عن أصل هذه الكلمة في القواميس والموسوعات وسؤال المختصين في هذا المجال.

وتختتم الناسجة هذه السلسلة من العمليات التحضيرية بالصباغة التي تشبه باقي المناطق فالصوف في جبل عمور تصبغ عائلياً، وتكلف النساء بتلك المهمة حيث

(٣) Giacobelletti, R ,P ; Les Tapis et Tissages ;.....,P7.

(٤) Ibid, P8.

(٥) Golvin, L ; Les arts Populaires.....P 118.

تستعمل الألوان الطبيعية بالدرجة الأولى مثل الكوشنيلية والقرمة والنيلة التي تغطي اللون الأزرق القاتم وأحيانا أسود يشبه سواد قشرة الرمان التي استعملت هي الأخرى في استخراج اللون الأحمر، أما اللون الصفرة المائل إلى البرتقالي فكان يأخذ من البليرون وللحصول على اللون الأخضر يمزج بين اللون الأصفر والأزرق النيلي، وعن الألوان التقليدية التي استعملت في جبل عمور نجد:

- اللون الأحمر النيلي المائل إلى الأسود.
- اللون الأخضر الذي كان قليل الاستعمال.
- اللون الأبيض الذي كان يستعمل في تحديد نهايات الزخارف.

النسيج:

قبل التحدث عن عملية النسيج، نشير إلى أن عملية تسدية المنسج لا تختلف في منطقة جبل عمور عن غيرها في المناطق الأخرى، بحيث تتم هذه التسدية فوق أوتاد مغروسة في الأرض مسبقا، كما يتدخل الرقام لتحديد أبعاد النسيج المراد إنجازها، وهذا يؤدي طبعا إلى ضبط عدد خيوط السلسلة (La Chaine) وللتذكير فإن هذه الأخيرة تصبغ دائما باللون الأحمر، لا تختلف عملية تركيب المنسج في منطقة جبل عمور عن غيرها من المناطق كما ذكرنا في الفصل الخاص بالتقنية، قبل البدء بنسج الزربية تترك المرأة في بداية نسجها من عشرة إلى خمسة عشرة سنتيمتر، وتستعمل هذه الخطوط لإنجاز الهدب أو ما يعرف بالشراشب.



طريقة النسيج في منطقة جبل عمور

تعمل عادة ثلاث أو أربع نساء بمفردهن لإنجاز الرؤوس أو الجوانب أو الحواف (Les chefs tissés) ويعرف بالعذبة ويتكون من عدة خطوط متوازية تزين بزخارف هندسية وتكون باللون الأحمر، الأزرق أو الأسود والأخضر والأصفر، تسمى العذبة السفلي " بالمبدأ " والعليا تعرف " بالرأس".^(٦)

تبدأ المرأة عملها كما لو كان عليها القيام بنسج محفوف ومزخرف، فتبدأ أولا بإنجاز شرطين سمك كل واحد منهما اثنان سنتيمتر، الأول يكون أزرق اللون والثاني باللون الأحمر.

تجلس المرأة وراء المنسج، يبقى القصب مرفوعا، وبواسطة يدها اليسرى تمرر مجموعة خيوط، ثم تسحبها بيدها اليمنى أفقيا ما بين طبقتين من الخيوط المتباعدة. تقوم بعدها بإيالة القصب وبذلك فإن طبقة خيوط السلسلة التي كانت بالخلف تصبح من الأمام والتي من الأمام تصبح في الخلف بعد أن تتقاطع كلتا الطبقتين، ثم تدرج مجموعة من الخيوط وتشد إلى الأولى بواسطة عصا صغيرة تمرر بين الخيوط. يرفع عود القصب وتمرر مجموعة ثالثة من الخيوط بنفس طريقة مجموعة الخيوط السابقة وتضغط عليها بدقة بواسطة مشط.

تقوم الناسجة بنفس العملية بالنسبة للخيوط الزرقاء إلى أن تصل إلى حوالي عشر مجموعات من الخيوط لتنتقل بعدها للعمل بالخيوط الحمراء بنفس الطريقة، وفي كل مرة عليها أن تضغط بواسطة مشط تدريجيا، إلى أن يأخذ النسيج شكلا معيناً. ويوجد على جانبي الزربية شريطين في اتجاه طولها ويعرف بالتازرة أو القاطعة وهي حاشية تنسج بمتانة ودقة بواسطة خيط مزدوج ذو لون أسود، تلويه المرأة حول خيوط الحبكة الأولى من الناحية الخارجية، ويتطلب هذا العمل نساء ماهرات وإنجازته، تمرر الناسجة خيطان الحبكة ذو اللون البرتقالي بواسطة عصا، ثم تأخذ خيط أزرق فاتح ومرره خلف خيطين من خيوط السلسلة للطبقة الأقرب منها.

تضع الخيط الأزرق الفاتح، ثم تأخذ خيطا أخضر وتمرره دائما خلف خيطين من خيوط السلسلة ثم تضغط، تأخذ ثانياً الخيط الأزرق الفاتح الذي يتدلى خلف المنسج أي أمامها، تمرر مرة أخرى خيطان آخران ثم تضغط على الخيوط، بعدها تأخذ خيطا أحمر تمرره خلف الخيطين وتضعه بمكانه. تأخذ مرة أخرى الخيط الأزرق الفاتح لتمرره خلف خيطين من خيوط السلسلة، تأخذ من جديد خيطان أزرقان فاتحان ثم ثلاثة خيوط من خيوط السلسلة بواسطة خيط برتقالي اللون (نفس خيط المستعمل في السابق) ثم خيطان أزرقان فاتحان، ثم ثلاثة خيوط زرقاء داكنة، وهكذا وتضغط في بعض الأحيان بواسطة المشط المعروف بالخلالة.

تتعد الخيوط من الجهة الخلفية للمنسج في شكل طبقات متموجة طويلة نوعا ما، وإذا بدت الغرز ذات اللون الواحد متباعدة كثيرا فيما بينها، تقوم المرأة بالقطع، مما يعطي

⁽⁶⁾ Giacobelletti, Le, P, Les Tapis et TissagesP 8.

خصلة صغيرة، أما من الجهة الأمامية فتظهر الزخرفة التي تتشكل تدريجيا فوق خلفية زرقاء فاتحة.

يتبين لنا من خلال ما سبق صعوبة عملية النسيج نظرا للدقة التي تتطلبها، بحيث تضطر الناسجة إلى حساب عدد الخيوط والغرز دوما وعدم الوقوع في الخطأ، وقد تستطيع الناسجة أن تنسج أو تتركب عدة أجزاء من الزخرفة على مساحة صغيرة، ثم تنتقل إلى مكان آخر لتكمل النسيج، وهكذا يتمكن عدد من النساء العمل بنفس الزربية دون أن تزجج بعضهن البعض، وفي الأخير ينتج عمل متكامل ونادرا ما تقع في الخطأ.

قد يحتوي النسيج عند اكتماله على عدة زخارف متناوبة، لكن نجد على العموم نوعين من الزخارف فقط.

رغم تنوعها فإن الارتفاع العام للجوانب أو الحواف العذبة، يبلغ حوالي ثلاثين سنتيمتر وغالبا ما تتلف الحواف من كثرة الاستعمال قبل غيرها من أجزاء الزربية ولكن بالنسبة لهذا النوع من الزرابي فإن تلف الجوانب لا يكون إلا بعد مرور سنوات الاستعمال، وللتذكير فإن الرقام لا يتدخل أثناء نسج الحواف بل يكفي بالمشاهدة وتصحيح الأخطاء فقط.

يتشكل الرسم في الجهة المعاكسة للناسجات، بينما أمامها تتشابك الخيوط بشكل محلول أو بشكل مرصف يتنوع على الأشرطة المنسوجة ولا يتطلب إنجازها في غالب الأحيان إلا نصف يوم، بعده يأتي دور الرقام المعلم الذي يتمثل عمله في وضع علامات من مكان إلى آخر على خيوط السلسلة النقاط التي تحدد الرسومات المختلفة للزخرفة.

يحدد في بادئ الأمر نوع الزخرفة التي يريد إنجازها أولا، بعد الاختيار يقوم بحساب خيوط السلسلة ويعلم وسطها بخيط صغير ملون، ثم يحسب انطلاقا من المركز نحو اليمين ثم نحو اليسار عدد الخيوط الفاصلة بين الرسومات أو حدود الزخرفة، ويعقد بهذه المعالم المختلفة غرزة بيضاء حسب الطريقة التالية:

تسحب الناسجة خيط من خيوط السلسلة بيدها اليسرى فوق الخيط الذي يليه وتعد الغرزة وفق التقنية المعروفة بغرزة كيروديس^٧ تترك الناسجة الخيط الأول، وتأخذ بذلك الحلقة (أ) مكانا على يسار الحلقة (ب) وبسبابة اليد اليسرى تسحب القطع الصغيرة (المقطوعة بواسطة السكين) من جهة الأخرى من الغطاء أو طبقة الخيوط، ويميز جبل عمورة بغرزه المعقودة التي تنجز من الجهة الخلفية للمنسج وليس من الأمام كما هو الحال في باقي المناطق.

^٧ نسبة إلى بلاد الأناضول وهي من أقدم العقد المستخدمة في صناعة الزرابي وتعرف أيضا بالعقدة التركية. وهي تلتف الوبرة أو الخصلة الواحدة فيها حول خيطين متجاورين من السدة بحيث تجمع بينهما من أعلى ثم يدور طرفاها في مستوى الرقعة وراء هذين الخيطين، ثم يجتمعان فينفذان بينهما صاعدين معا ومتلامين إلى وجه الزربية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الغرز البيضاء تقص أصغر من الغرز التي تعقدها الناسجات المساعدات، بينما تظهر من الجهة الأخرى كخط فاصل للزخرفة وبعدها تشرع الناسجات بالعمل بعد أن يكون الرقام قد انتهى من وضع المعالم. ولإنجاز غرز معقودة مختلفة الألوان حسب الزخرفة، تعقد الناسجات غرزة كيردهس بالنحو التالي: تأخذ خيطين من خيوط السلسلة، أو خيطين وخيط آخر، أو خيطين وخيطين آخرين أو بأخذ ثلاثة خيوط أخرى.

بعدها تمرر الناسجات خيوط اللحمية (يصل عدد هذه الخيوط إلى أربعة أو أكثر أحيان)، تلك الخيوط تكون أرفع من الخيط المستعمل في الغرزة المعقودة، ثم تكس بواسطة خلال يأتي دور الرقام من جديد، فيعين المعالم وتواصل النساء عملهن، يتبع الرقام في عملية مقاييس محددة حيث تتكون الأهداب من خمسة إلى سبعة أو تسع غرز بيضاء طوليا، لكن غالبا ما يكون عددها سبعة، ويبلغ عددها عرضيا أربعة.

الملاحظ أن الغرز المعقودة تقص دائما بالسكين (يكون ارتفاعها غالبا ما بين اثنين وأربعة سنتيمتر) ويتم إنزالها بواسطة السبابة ثم تكس بضغطها بواسطة شفرة السكين وتوضع من جديد خيوط اللحمية التي تمررها بين الطبقات المتابعة بفضل أخشاب، ثم تسطحها بسبابتها وتكسها بقوة خلال.

تكون غرز النسيج متراسة (من عشرين إلى أربعة وعشرين غرزة في الديسمتر في كلتا الجهتين)، تبدو الزربية من جهة الغرز المعقودة، كحقل معشوشب لذا يجب الرجوع إلى الجهة الأخرى حتى نستطيع تقييم نوعية الزربية بحيث تعتبر وجهها.

وتستمر النساء في إنجاز الحواشي دائما من وبر المعز الأسود اللون الممزوج بالصوف، وتكون دوما منتظمة ويبدو في الوقت الحالي أن هذه الطريقة قد تغيرت بعض الشيء حيث أصبحت تنجز بالصوف فقط مما أفقدها متانتها بسرعة.

يتقيد الرقام عند الزخرفة بما هو متعارف عليه من أشكال تقليدية وإذا ما أراد تضخيم أحجام العناصر الزخرفية عليه بالحسابات حتى لا يقع في الخطأ.

يتم أخذ القياسات بالذراع، ويضع الرقام معالم الوسط والنهاية (في الاتجاه الطولي) بواسطة علامات بالرماد على الخيوط سواء عند التسدية أو عند بداية العمل تنتهي الزربية بشريط منسوج منجز من طرف النساء بنفس الطريقة المذكورة آنفا، ويجدر بنا أن نشير أن أطراف أو جوانب الزربية تحمل خطوط عرضية مجتمعة ذات ألوان متنوعة، تليها أشربة مزخرفة وتنتهي الأطراف بخيوط مظفورة لتجنب تمزق النسيج.

عند الانتهاء من النسيج، تقطع خيوط السلسلة بالسكين، وتقوم المرأة بفتح فتحات تعرف بالبليان، ثم تواصل قطع الخيوط الأخرى، فتنزل الزربية وتواصل الناسجة بعدها قطع الخيوط من الأسفل، تضرب الزربية لنزع الغبار وتقص بعض الخيوط الغرز البيضاء التي قد تظهر من جهة الغرز المعقودة، تترك عند كل طرف أهداب

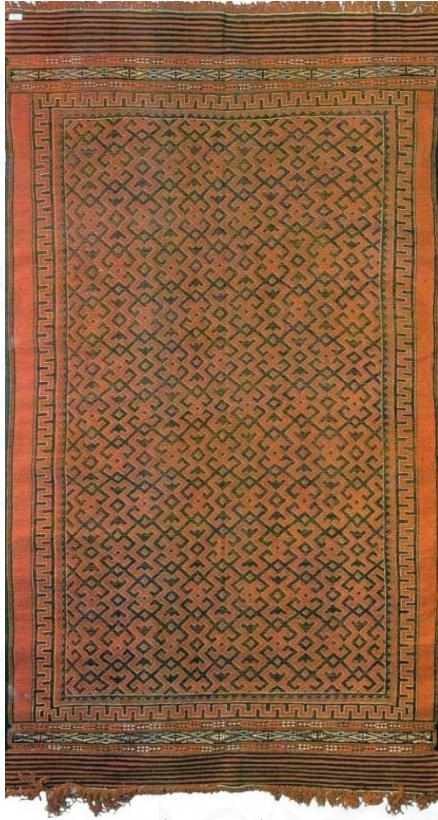
طولها يكون ما بين ستة وعشرة سنتيمتر، تقفل أو تظفر فيما بينها في مجموعة من أربعة إلى ستة خيوط تنتهي بعقدة.

أنواع الزرابي بجبل عمور:

لا يبدو لأول وهلة وجود تنوع كبير في زرابي جبل عمور عكس ما هو الحال بمنطقة الشرق الجزائري، حيث تقتصر الألوان البسيطة على اللون الأحمر القاتم، الأزرق القاتم أو الأسود مع بعض العناصر الخضراء، البرتقالية والصفراء أما الزخارف فهي هندسية تتمثل في خطوط مستقيمة.

تتميز هذه الزرابي كلها باختلاف الأطراف أو الجوانب، ففي بعض يصل عرض هذه الأخيرة إلى خمسين سنتيمتر، وهذا ما يزيد في متانة النسيج الذي يكون مشدودا أو متراسا رغم أنه لا يظهر كذلك، وقد تبدع الناسجة في نسج الحواشي التي تدعمها بوبر الماعز لذا، يمكن القول أن زرابي جبل عمور من أمثن الزرابي الموجودة بالجزائر.

والجدير بالذكر أن وجه الجوانب هو الجهة المعاكسة للغرز المعقودة، بينما تكون الخيوط من الجهة الأخرى متشابكة فيما بينها وذات ألوان مختلفة، منه يمكن التأكد على أن زربية جبل عمور ليس لها وجه ولا ظهر بحيث يمكن استعمال كلتا الجهتين كلما أردنا ذلك.



خلفية الزربية



واجهة الزربية

التركيبة الزخرفية:

للفراش العموري تركيبة زخرفية تختلف كلية عن الزربية المشرقية فلا نجد الزخارف المعمارية ولا الميداليات ولا حتى الزخارف القرنية ، اذ تتمثل الزخرفة المستعملة عموما بجبل عمور في تربيعات منحرفة تحدد معينات متساوية، غالبا ما يتوصل الرقام فيها إلى زخرفة متوازية بتكرار الزخرفة حسب متطلبات مختلفة. تحاط هذه التركيبة الزخرفية بأفاريز تحد الجوانب المنسوجة والمزخرفة تقسم مساحة الزربية في غالب الأحيان إلى خطوط قطرية تزخرف بتلك الأشكال التي تميز منطقة جبل عمور والتي تعرف " بالمخالب"، تشكل هذه الخطوط القطرية مجموعة من المعينات تكون في بعض الأحيان متراكبة فيما بينها، ثم تزخرف من جديد بخطوط مشطية الشكل.

وفي بعض الأحيان، تقسم كل مساحة الفراش إلى عدة مثلثات ذات زخارف متناوبة، تعقبها مربعات متراكبة فيما بعضها على شكل ألمنا دف أو أشكال مثلثات مقلوبة، وقد يضاعف عدد المعينات عن المعينات المشكلة للزخرفة الداخلية وينتج عن ذلك

تغيير في العنصر الأساسي للزخرفة بحيث لا يميز الأهداب التي تبدو مختلفة، ويعتبر هذا النموذج الأكثر استعمالاً.

نادراً ما نجد التركيبية الزخرفية على أشكال مختلفة، حيث يكون العنصر الغالب على الزخرفة مشدود نحو المركز بين أربعة أفاريز مختلفة الأحجام ومتنوعة الزخرفة ويستعمل الشكل دائماً ولكن دون تقسيم مساحة الزخرفة إلى مربعات، حيث توضع رؤوس المعينات بشكل متعاكس حتى يمتلئ كل الفراغ المحدد بالأفاريز، ثم تقسم المعينات لتشكيل معينات أصغر.

كما يستعمل الرقام التربيع المترابك أو المتداخل الذي يتناوب الموضوع المختار للزخرفة، ويستعمل الأفاريز ذات الألوان المتنوعة، لكن يتواصل أحياناً إلى التحرر من رتابة التربيع إذا جنباً إلى جنب مجموعات أشكال محصل عليها بتكرار موضوع الزخرفة المختار، ويحصل بها على تشابك منسجم وهذا بإزاحة الأشرطة في شكل متناوب.

ويلجأ في الأخير إلى أشرطة متوازية، يشكل الشريطان الأولان منها أفاريز، أما تلك التي توجد في المركز، والتي تفصل بينها فراغات فتزين بنفس الموضوع الزخرفي الذي يمثل الزخرفة الرئيسية وللفضل بين هذه الأخيرة والجوانب يستعمل سجلان آخران مزخرفان.

وقد يستعمل الرقام في تركيباته المربعات الملتصقة فيما بينها والتي تسمح بالفصل بين الزخارف المختارة، ولكن يبتعد في بعض الأحيان عن روتين الزخرفة الهندسية المتمثلة في المربعات خاصة، لذا فإننا نجده يكرر الزخرفة المختارة عدة مرات على شكل تسلسل منظم لهذه الزخارف كما نجده يضع أشرطة متوازية ويستعمل الزخرفة الرئيسية في ملء الفراغ، كما نسجل سجلين يفصلان زخرفة في الوسط وأطراف مزخرفة.

تذكرنا هذه التركيبية الزخرفية بتلك الموجودة في المغرب الأقصى خاصة الأطلس الأوسط وقبائل زيان وآيت موسى إلا أن الألوان تكون مختلفة جداً.^(٨)

كما أننا ما نلاحظه في زربية جبل عمور هو استعمال الأفاريز وتضاعفها بشكل يقلص الزخرفة المركزية، وقد يذكرنا هذا التأطير بالمشرق ولا يمكن القول أنه تأثير مشرقى إذا ما عدنا إلى تاريخ هذه المنطقة.^(٩)

إن الرسومات التي نلاحظها عند الجوانب أو أطراف زرابي عمور تنتمي إلى سجل زخارف المغرب الإسلامي، وهي تميز الفن الأمازيغي وهو أقدم فن معروف في المغرب العربي.

وقد نجد مثيلاتها بمنطقة المغرب الأقصى وخاصة في منطقة الأطلس الأعلى والأوسط عند الرحل، فبتالي فإن هذه الزخارف مأخوذة من السجل الزخرفي

^(٨) Ricard, R, Corpus des tapis Marocains, T.II, 1926, P 134.

^(٩) Golvin.L, Les arts Populaires....., P 134.

المحلي. ويتساءل الناظر إلى زربية جبل عمور إذا ما كان تحديد أطراف الزربية بشريط منسوج ومزخرف لتدعيم الجوانب وتكملة زخرفتها تقليد أصيل أم مستورد؟ قد لا يمكن التأكيد منه إلا إذا كانت هناك دراسة زخرفية معمقة، بحيث نجد نفس الشيء على الزرابي المشرقية كمنطقة بلوتشستان تركيستان والقوقاز التي يصل عرض الشريط من خمسة عشرة إلى ثلاثين سنتيمتر فما أكثر، وتتركب من خطوط عرضية بألوان مختلفة وبزخارف نباتية نادرة وهندسية في معظم الأحيان وهذا ما نجده عامة في الكليم المحلي.

وقد نجد هذا التقليد على الزرابي المغربية ومنطقة قلعة بني راشد حيث يوجد تقارب بين زخرفة الزربيتين (القلعة وجبل عمور).

مما سبق يتبين لنا وجود تشابه بين زرابي جبل عمور وبعض نماذج زرابي الأطلس الأوسط المغربي ويكون في ما يلي:

- تتوضع المعينات بنفس طريقة زرابي جبل عمور ولا نجد الخط المنقط الذي تعرفه القبائل الأخرى والمميز لزرابي جبل عمور.
- تكون أشرطة الإطار أو الأفاريز حد بسيطة أو منعدمة لكنها لا تقلص من مساحة الزخرفة المركزية.
- أما الجوانب أو الحواف فتتعدم أو تنحصر في بعض الخطوط الضيقة.

سلم الألوان:

تكون ألوان الزربية العمورية في تناسق جيد مع قوة التركيب الزخرفي تكون خلفية الزربية دائما بالون الأحمر الداكن المائل إلى البنفسجي أحيانا ونادرا ما يكون بنفسجي قاتم وهناك بعض الزرابي ذات خلفية تعلوه زخرفة باللون الأحمر في شكل متناسق.

تلون العناصر الزخرفية المتمثلة في خطوط ذات أهداب وحزوز باللون الأزرق القاتم النيلي أو أسود، ويعتبر هذا الأخير من الألوان المفضلة.

وترصع الزخرفة بالأبيض وأحيانا بحاشية صفراء أو برتقالية وتكون الزخارف بداخل المعينات باللون الأخضر القاتم أحيانا، نفس الألوان توجد على الأشرطة المنسوجة عند الجوانب، نجد عموما لونين أساسيين مع بعض اللمسات بألوان مختلفة وقد أعطت هذه الألوان رغم بساطتها للزربية قيمة فنية حقيقية.

نستخلص مما سبق أن فراش جبل عمور من المنسوجات النموذجية المميزة في المغرب الإسلامي، وتتميز ببساطة زخارفها الهندسية، و ألوانها التي يغلب عليها اللون الأحمر، الأزرق أو الأسود، مما يجعل منها تحف فنية منسجمة.

وهي من أقدم الزرابي بالجزائر، التي حافظت على أصالتها، إذا لم تعرف أي تأثيرات سواء الأندلسية أو العثمانية، ونلاحظ أن منسوجات المغرب الأقصى وجبل عمور قد تغذت من نفس المنابع، خاصة تلك الموجودة في الأطلس الأعلى، لكن

يمكن تمييز زربية جبل عمور بطابعها الخاص الذي تستمد زخرفتها من أعماق الحضارة المحلية.

أما عن الزخارف الموجودة في زربية جبل عمور فنجد الخط المحرز الذي انتشر استعماله في المغرب الإسلامي وقل استعماله في المشرق.

ويعبر هذا الشكل عن فكرة ما أو اعتقاد ما، وتفسر المرأة بنفسها هذه الزخرفة المتوارثة، وتجدد دوما رمزياتها التي تختلف من منطقة إلى أخرى، فقد يعرف بالنخلة وفي بعض الأحيان بالمشط وتختلف تسمياته من جهة إلى أخرى في منطقة جبل عمور ولكن يعرف عامة بالمخالب.

ونستنتج أيضا أنه رغم وجود بعض الأشكال المقتبسة عن المشرق، فإن شخصية الرقام الجزائرية تبقى بارزة، بحيث استمد زخارفه من الطبيعة و المجتمع المحيطين به.

وبما أن سكان جبل عمور عرفوا النسيج المحفوف، فإن الزربية ذات العقدة قد عرفوها مع القبائل العربية التي سكنت المنطقة بعد دخول بنو هلال. وبذلك، تكون تقنية الغرزة المعقودة مشرقية الأصل، أما فيما يخص الزخرفة فهي مستوحاة من المواضيع التقليدية المعروفة في منطقة جبل عمور والتي نجدها سواء على المنسوجات الأخرى أو الصناعات التقليدية الأخرى كالفخار والمجوهرات وحتى الوشم الذي كان شائعا بكثرة في نواحي بلادنا.